

أَحَادِيثُ الصَّبَابَةِ

مُحَاوَرَةٌ بَيْنَ عَاذِلٍ وَعَاشِقٍ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ مِائَةِ بَيْتٍ مِنَ الْبَحْرِ الْكَامِلِ

شعر الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي

فَجَوَى الْأَحْبَبَةَ فِيهِ بَاتَ مُصَاحِبِي

يُرْوِيهِ غِظْرِيْفٌ طَوِيلٌ تَجَارِبِ

فِي الْفَجْرِ هَاجَ الشَّوْقُ مُدُّ أَنْ صَاحَ بِي

أَشْدُو وَأَرْقُصُ فِعْلَ طِفْلِ لَاعِبِ

يَدْعُو إِلَى رُشْدٍ وَأَمْرٍ صَائِبِ

لَيْسَ الْعَرَامُ بِلَائِقٍ لِلشَّائِبِ

بِوَصَالِ غَانِيَةٍ وَقُبْلَةِ كَاعِبِ

قَدْحًا بِرَأْسِكَ تَحْتَفِي بِصَوَاحِبِ

وَكَسَاكَ شَيْبُ الرَّأْسِ ثَوْبَ مَعَاظِ

مِنْ خَلْفِ لَيْلٍ مُكْفَهَّرٍ هَارِبِ

فِي غَمِّهِ أَوْ ضَوْءِ فَجْرِ كَاذِبِ

تَعْدُو عَلَى صَهَوَاتِ عُمْرٍ دَائِبِ

مَا اشْتَدَّ مِنْهُ مِثْلَ قَوْسِ الْحَاجِبِ

أَنْ صِرْتُ نُونًا دَارَ دُونَ تَنَاسِبِ

أُفُقِ الْفَضَاءِ ، وَكَالْهَلَالِ الْعَارِبِ

فَبَدَتْ إِلَيَّ كَلْمَعُ بَرْقِ خَالِبِ

كَرَّ السَّنِينَ صَدَى لِعُمْرٍ صَاحِبِ

الغظريفُ:
السيدُ الكريمُ

أَخْلَقْتُ: بَلَيْتُ
مُكْفَهَّرٌ: غَابِسٌ

إِنَاءٌ: اعْوَجَّ

خَالِبٌ: خَادَعٌ

رِفْقًا بِقَلْبِي فِي الْهَوَى يَا صَاحِبِي

وَأَسْمَعُ حَدِيثًا فِي الصَّبَابَةِ مُسْنَدًا

كَانَتْ بِدَايَتُهُ نِدَاءً مُؤَدِّنِ

لَمَّا رَأَى لَاهِيًا مُتَمَائِلًا

5. نَادَى عَلِيَّ : أَفُقُ فَدَيْتِكَ ، وَأَنْبَرِي

وَيَقُولُ : دَعَّ عَنْكَ التَّصَائِبِ فِي الْهَوَى

عَجَبًا لِأَمْرِكَ ! تَرْتَجِي نَيْلَ الْعُلَى

أَوْ بَعْدَمَا أَوْرَى الْمَشِيبُ زِنَادَهُ

أَوْ مَا تَرَى حُلَلَ الْفُتُوَّةِ أَخْلَقْتُ

10. فَكَأَنَّمَا نَشَرَ الصَّبَاحُ ضِيَاءَهُ

وَكَانَ رَأْسِي جَوْ يَوْمٍ غَائِمِ

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَأَذْبَرَتْ صَبَوَاتُهُ

وَإِنَاءَ عُوْدِ الْحِجْسِمِ مِنِّي وَانْحَنَى

كَمْ قَدْ مَشَيْتُ كَأَنَّنِي أَلْفٌ إِلَى

15. وَكَأَنَّنِي طَيْفُ الْخَيَالِ يَلُوحُ فِي

وَتَبَاعَدَتْ آمَالُ فِكْرٍ حَالِمِ

وَتَقَارَبَتْ آلَامُ جِسْمِ يَشْتَكِي

* * *

لَمْ يَدْرِ أَيُّ عَنَّهُ لَسْتُ بِتَائِبِ

بِحِرَانِهِ يَوْمًا لِغَيْرِ مُغَالِبِ

لَمْ يَأْتِهِ بِأَسِنَّةٍ وَقَوَاضِبِ

وَعَلَى الْمَكَارِمِ مَا حَيَّيْتَ فَوَاطِبِ

إِلَّا بِطُولِ تَعَلُّقِي وَتَجَادِبِ

الحرانُ:
باطلٌ عنقُ البعيرِ

الأسِنَّةُ: الرِّمَاحُ
والقَوَاضِبُ: السِّوْفُ

قَاثُو: أَطْلُ الْمُقَامِ

وَأَزْدَادَ عَدْلًا فِي الْهَوَى وَمَلَامَةً

أَنْظُنُّ أَنْ الْمَجْدَ يُلْقِي خَاضِعًا

20. أَوْ أَنْ بَابَ الْعِزِّ يَقْبَلُ طَارِقًا

إِنْ كُنْتَ تَبْعِي الْمَجْدَ فَاثُو بِحِيَّتِهِ

مَا كَانَتْ الْعُلِيَاءُ تَرْفَعُ طَامِحًا

فَأَجَبْتُهُ مَهْلًا عَلَيَّ وَلَا تَجْرُ نَاكِبٌ عَنْ: عَادِلٌ عَنْ مَا كُنْتُ عَنْ شَرَعِ الْإِلَهِ بِنَاكِبٍ
وَلَقَدْ عَجَلْتُ بِمَا سَجَلْتُ وَلَمْ تَكُنْ سَجَلْتُ: صَبَّيْتُ، مِنْكَ التَّصِيحَةُ غِبٌّ فِكْرٍ ثَابِتٍ وَأَضْلُهُ لِلْمَاءِ
25. قَدْ كَانَ حَقُّ الْعَاشِقِينَ بَأْنَ يَرَوْنَ مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُلُومَ مُتِيماً
هَلَّا التَّمَسَّتْ الْعُذْرَ فِيمَا نَابَهُ نَائِبٌ: مُصِيبٌ بِشِدَّةٍ أَنْ الْجَوَى وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ نَائِبٍ
أَوْ لَمْ يَكُنْ دَمْعُ الْعُيُونِ بِشَافِعٍ لِّلْوَالِهَيْنِ ، وَكَمْ تَرَى مِنْ سَاكِبٍ
تَكْفِيكَ صُفْرَةَ لَوْنٍ كُلِّ مُوَلِّهِ يَلْقَاكَ مَهْمُومًا بِوَجْهِ شَاكِبٍ
30. إِنْ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ الْغَرَامِ فَلَا تَكُنْ كَرِيهَةً: أَصَابَهُ بِعَمٍّ لِّلْمُغْرَمِينَ بِنَاقِدٍ أَوْ كَارِبٍ
أَنَا عَاشِقٌ وَالْفَخْرُ لِي إِذْ أَنْتِي مَا كُنْتُ فِي دِينِ الْغَرَامِ بِرَاهِبٍ
لِي فِي الْهَوَى قِصَصٌ وَأَخْبَارٌ أَتَتْ طُولَ الْمَدَى بِعَجَائِبٍ وَعَرَائِبٍ
وَمَعَانِمٌ هِيَ فِيهِ أَسْمَى غَايَةً مِنْ خَلْوَةٍ بِالْحَبِّ دُونَ مُرَاقِبٍ
وَمَنَاهِجٌ قَدْ نَزَّهَتْ عَنْ كُلِّ مَا قَدْ شَانَ مِنْ فِتْنٍ بِهِ وَمَعَايِبٍ
35. وَمَذَاهِبٌ قَدْ حَيَّرَتْ أَهْلَ التُّهَى فَاسْمَعُ هُدَيْتَ إِلَى أَصُولِ مَذَاهِبِي
لَمْ أَخْطُ يَوْمًا فِي الْغَرَامِ سِوَى عَلِيٍّ لَاحِبٌ: وَاضِحٌ نَهَجٌ جَيِّ مُسْتَقِيمٍ لَاحِبٍ
أَطْنَنْتَ أَنِّي قَدْ بَحَسْتُ حُشَّاشَتِي أَوْ كُنْتُ فِي رَوْضِ الْجَمَالِ كَحَاطِبٍ
لَمْ أَهْوِ إِلَّا كَعَبَّةَ حَسَنَاءَ قَدْ جَمَعْتُ بِمَا تَحْوِيهِ كُلِّ مَطَالِبِي
لَمْ أَهْوِ إِلَّا دُرَّةً مَكُونَةً صِينْتُ بِأَصْدَافٍ لِأَنْفَسِ خَاطِبٍ
40. نَزَلْتُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ تَحْمِلُ لُمَعَةً مِنْ رَوْنِقِ سَرَّتُهُ خَلْفَ عَيَاهِبٍ
هِيَ كَعَبَّةٌ حَجَّ الْحَاجِحُ نَحْوَهَا الْجُحْجَاحُ: السَّيِّدُ الْكَرِيمُ مِنْ كُلِّ صُفْعٍ فِي الْبِلَادِ وَجَانِبٍ
أَبْصَرْتُهَا وَأَنَا غُلَامٌ يَافِعٌ مَا طَرَّ بَعْدُ عَلَى الصَّبَابَةِ شَارِبِي طَرٌّ: تَبَّتْ
فَأَخِذْتُ إِذْ عَايَنْتُ صُورَةَ وَجْهَهَا أُخِذْتُ: سُجِرْتُ لَمَّا أَطَلْتُ مِنْ عَلِيٍّ مُرَاقِبٍ الْمَرْقَبَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ
جَذَبَتْ فُؤَادِي نَحْوَهَا فِي طَرْفَةٍ أَنْعَمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ حُسْنٍ جَاذِبٍ سَطَطْتُ عَلِيٍّ: بَطَشْتُ فِي
45. وَسَطَطْتُ عَلِيٍّ بِنَظْرَةٍ فَتَاكَةً فَعَجَلْتُ أَلْقَاهَا بِصَدْرٍ وَائِبٍ سَطَطْتُ عَلِيٍّ: بَطَشْتُ فِي
جَمَعْتُ لِي الْأَضْدَادَ مِنْ مَوْتٍ وَنَشْ رٍ فِي الْهَوَى وَمَرَاعِبٍ وَمَرَاهِبٍ
بِقَوَامِ بَانَ فَارِجٍ مُتَنَاسِبٍ التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْفِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ
مِنْ تَعْرِهَا شَهْدٌ ، وَمِنْ وَجَنَاتِهَا وَرْدٌ ، وَفِي الْعَيْنَيْنِ عُجْبٌ شَبَابٍ
فِي شَعْرِهَا عَسْوٌ ، وَفَوْقَ جَبِينِهَا أَلْقٌ ، وَفِي الْأَجْفَانِ بَابٌ سَرَادِبٍ

50. قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِوَجْهِهَا
قَدْ أَخْجَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِنُورِهَا
وَتُرِيكَ أَحْيَانًا عُبُوسَ مُجَانِبِ

حَادِبٌ: عَاطِفٌ

* * *

وَبَدَا مِنَ الْعَيْنَيْنِ أَفُقُ مَعَارِبِ
أَبَدًا وَمَا احتَاجَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبِ
دَلَعَا ، وَقَدْ تُهْدِيكَ نَظْرَةَ حَادِبِ

يَا مَنْ عَدَلْتَ وَمَا عَدَلْتَ ! أَلَا تَرَى
فَاسْمِعْ كَلَامَ الْهَائِيَيْنِ مُسَلِّمًا
55. مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُعَنَّفَ عَاشِقًا
أَفْتَى الْحَيَاةَ مُؤَمَّلًا وَضَلًّا بِهِ
إِنْ كُنْتَ عِبْتَ الْحُبَّ يَا هَذَا فَقَدْ
عَشِقَ الْمُحِبِّ حَبِيْبُهُ فَخَرَّ بِهِ
أَحَلَى حَدِيثِ النَّاسِ قِصَّةُ عَاشِقِ
60. يَتَوَاصِلَانِ وَلَا رَقِيبَ عَلَيْهِمَا
فِي لَيْلَةٍ سَتَرَ الْعَقَافُ كِلَيْهِمَا
حُبُّ سَمَاوِيٍّ سَمَا بِصَفَائِهِ
كَمْ مِنْ مُحِبِّ قَامَ يَحْكِي مَا جَرَى
فَرَوَى الْفَقِيْهُ حَدِيثَهُ مُتَّفَكِّهًا
65. مَا دَنْبٌ مِنْ أَسَرَ الْحَبِيْبُ فُؤَادَهُ
مَا لِلْمُحِبِّ مِنْ اخْتِيَارٍ فِي الْهَوَى
لَيْسَ الْمُحِبُّ مُكَلَّفًا فَيَكُونُ فِي
أَقْصَرُ وَلَا تَعَجَلْ فَإِنِّي لَسْتُ فِي
مَا كُنْتُ أَبْنِي لِلْعُلَى بَيْتًا عَلَى
70. عَيْرِي يُلَاعِبُ خُرْدًا لِكِنِّي

السَّارِبِ: الْمُتَخَفِي

الآدِبِ: الدَاعِي

لَا زِبٌ: لَا زِمٌ لِاصْوُ

الْحَرِيْدَةُ: الْبِكْرُ

مِثْلِي بِأَنَّ الْحُبَّ غَيْرُ مُعَالِبِ
لَهُمْ وَسَدَّدُ فِي الْمَقَالِ وَقَارِبِ
مَا كَانَ يَوْمًا فِي الْغَرَامِ بِسَارِبِ
يَشْفِي قُرُوحًا مِنْهُ ذَاتَ تَعَاقِبِ
أَخْطَأْتُ ، مَا ثَوَّبَ الْغَرَامَ بِعَائِبِ
قَدْ طَوَّقَ الْأَشْرَافُ عِقْدَ مَنَاقِبِ
لَقِي الَّذِي يَهْوَاهُ غَيْرَ مُعَاضِبِ
وَكِلَاهُمَا فِي الْحُبِّ غَيْرُ مُوَارِبِ
فِيهَا بِأَسْتَارٍ صَفَتْ وَجَلَابِ
عَنْ وَصْمَةٍ يُرْمَى بِهَا وَشَوَائِبِ
مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُ ذَا عَلَيْهِ بِوَاجِبِ
وَتَلَا الْأَدِيبُ فَكَانَ أَحْسَنَ آدِبِ
فَاقْتِيدَ فِيهِ بِأَمْرِ حِبِّ غَالِبِ
إِنَّ الضَّرُورَةَ فِيهِ ضَرْبَةٌ لِازِبِ
شَرَعَ الْهَوَى بَيْنَ الْوَرَى بِمُعَاتِبِ
وَصَلِ الْحِسَانَ الْفَاتِنَاتِ بِرَاغِبِ
أَنْقَاضِ قَلْبٍ فِي الْعَوَانِي ذَائِبِ
لِأَسِنَّةِ الْفُرْسَانِ خَيْرٌ مُلَاعِبِ

الْمُجُوْدَرُ: وَلَدُ الْبَقْرَةِ
نَزَعٌ: رَمَى

الْعَرَضُ: الْهَدَفُ

حَسَنَاءَ تَطْلُبُنِي وَلَسْتُ بِطَالِبِ
وَعَدَرْتُ فِي شَأْنِ الْغَرَامِ مُحْطَابِ
يَنْزِعَنَّ عَنْ قَوِيْسٍ بَدَتْ بِحَوَاجِبِ
غَرَضٌ ، وَمَنْ يَرْمِيهِ غَيْرُ مُجَانِبِ

* * *

75. بِسَهَامِ الْحَاظِ تَرُنُّ وَقَدْ حَكَتْ تَرُنُّ: نُصَوِّتُ فِي الرَّشْقِ عِنْدَ النَّزْعِ صَوْتَ نَوَادِبِ
فَتَشُقُّ أَجْوَارَ الْفَضَاءِ كَأَنَّهَا بَرَقُ تَوَهَّجٍ مِنْ صِدَامِ سَحَابٍ
كَالشُّهْبِ تُفْدَفُ مِنْ سَمَاءِ الْحُسْنِ إِنْ يَعْرِضُ لَهَا صَبٌّ بِنَظْرَةِ نَاهِبٍ
هُوَ جُوذَرٌ لِكِنَّهُ مَلِكٌ لَهُ جُمِعَتْ أَعَزُّ فَضَائِلٍ وَمَوَاهِبِ
ظِي تَنَّتَى فِي الْكِنَاسِ مُحَاذِرًا الْكِنَاسِ: بَيْتِ الظَّيْبِ الْأَخْشَبِ: الْجَبَلِ الصَّعْبِ فَسَبَى الْأَسْوَدَ عَلَى رُؤُوسِ أَخَاشِبِ
80. دَخَلَ الْقُلُوبَ بِدَلِّهِ وَجَمَالِهِ السَّبَسَبِ: الْمَفَازَةِ فَعَدَّتْ بِهِ بَعْدَ الْهَوَى كَسَبَابِ
لِكِنَّهُ لَمْ يُصِمِّي بِلِحَاطِهِ لَمْ يُصِمِّي: لَمْ يُصِمِّي الثَّائِبِ: الرَّايِ مَعَ أَنَّهُ فِي الرَّيِّ أَمْهَرُ نَاشِبٍ
كَلَّا وَلَا التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ نَوَاطِرِي إِذْ كُنْتُ فِي هَمٍّ وَشُغْلٍ غَالِبِ
لَمْ يَسْبِنِي حَوْرُ الْعُيُونِ ، وَلَمْ أَكُنْ يَوْمًا أَهِيْمُ بِذَاتِ حُسْنٍ ذَاهِبِ
إِنِّي وَلِيدُ الْمَجْدِ ، لَمْ أَعْرِفْ سِوَا هُ مِنْ أَبِي مُنْذُ الصَّبَا أَوْ عَاصِبِ
85. الدِّينُ جَدِّي ، وَالْهَدَايَةُ وَالِدِي وَالْعِلْمُ وَالْإِيْمَانُ بَعْضُ أَقَارِبِي
وَالْحِلْمُ طَبْعٌ لِي بِعَبْرِ تَكْلُفِ وَالصِّدْقُ خِيْمِي ، وَالْكَمَالُ مُصَاقِبِي
وَالثُّبُلُ إِرْثِي ، وَالسِّيَادَةُ بُرْدَتِي مُصَاقِبِ: جَارٌ مُلَاصِقٌ
وَالْفَخْرُ حَظٌّ رِحَالَهُ فِي دَارَتِي وَالْمَجْدُ خِيْمٌ فِي فَسِيحِ مَضَارِبِي
أَنَا مُفْرَدٌ عَلَّمَ ثُنَادِيهِ الْعَالِي بِالرَّفْعِ فِي مَرْصَاةِ رَبِّ وَاهِبِ
90. وَلَكُمْ نُصِبْتُ عَلَى اخْتِصَاصِ بِالْهَدَى إِذْ كُنْتُ قَدَمًا فِيهِ أَعْنَى كَاسِبِ
أَنَا فَارِسٌ سَلَكَ الْقِفَارَ مُفَجَّرًا بِعُلُومِهِ مِنْهَا لَزِيدٌ مَشَارِبِ
أَنَا شَاعِرٌ خَاصَ الْبِحَارِ مُنْقَبًا عَنْ جَوْهَرٍ فِي قَعْرِهَا مُتَنَاسِبِ
أَلْفَ الْمَعَالِي فَانْتَضَى لِطَلَابِهَا الْأَجْرُدُ مِنَ الْحَيْلِ: الْقَصِيرِ الشَّعْرِ
عَشِقَ الْمَفَاخِرَ فَانْتَسَى مِنْ نَسْجِهَا فِي السَّلْمِ فَوْقَ الْجُرْدِ سَيْفِ مُحَارِبِ
95. طَافَ الْبِلَادَ وَلَمْ يَزَلْ مُتَعَرِّبًا وَمِنْ تَيْجَانِهَا بِعَصَائِبِ يَصْعُ الْحَمَائِلَ فَوْقَ أَعْلَى غَارِبِ
مُتَنَقِّلًا فِي رِحْلَةٍ لَا تَنْقُضِي الْعَارِبِ: مُقَدَّمُ السَّنَامِ فَوْقَ السَّحَابِ عَلَى مُتُونِ كَوَاكِبِ
فَلَهُ بِأَعْلَى الْجَوِّ مَقْعَدٌ طَائِرٍ الْمُؤَمَّةُ: الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ وَبِطْنٍ: مَوْمَاتٍ ظُهُورٌ دَعَالِبِ
الدُّغْلِيَّةُ: النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ

* * *

هَذَا حَدِيثِي فِي الْهَوَى وَرِجَالِهِ مَا كُنْتُ عَنْهُ بِغَافِلٍ أَوْ غَائِبِ
أَسَدْتُهُ عَنْ أَهْلِهِ مِنْ بَعْدِمَا أَصْبَحْتُ لِلْعُشَاقِ أَقْرَبَ صَاحِبِ
100. مِنْ بَعْدِ عُمُرٍ فِي الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى قَدْ نَلْتُ فِيهِ مِنْ الْحَبِيبِ مَارِبِي

* * * * * * * * *